شرح

كتاب الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

دار الكتب والوثائق القومية
الشئون الفنية
إدارة الإيداع القانوني

عنوان المصنف: شرح كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تحقيق: عادل محمد مرسي رفاعي

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٥٧٠١

الترقيم الدولي: ٠-١٢-٥٢٣٢-٩٧٧-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

الإدارة والمبيعات جوال ـ ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٤١٧ ـ ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ ـ ٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية ـ ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ ـ جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة ـ ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار ـ خلف الجامع الأزهر الشريف ـ هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ ـ فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩

البريد الإلكتروني: dar_alhijaz@hotmail.com

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٧)

شرح

كتاب الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

تحقيق وعناية

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

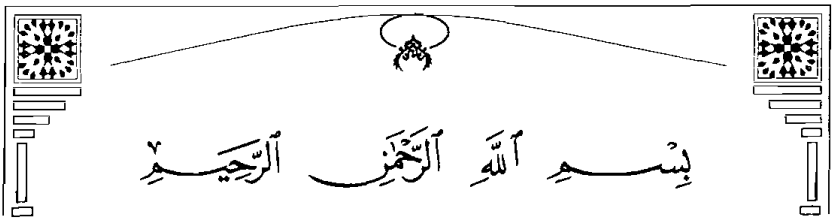

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد. . . ،

فهذا شرح:

كتابِ الفرقانِ بَيْنَ أَوْلِياءِ الرَّحْمَنِ وأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ

لِشَيخِ الإسْلامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

أَجْزَلَ اللهُ لَهُ المَثُوبَةَ وَالمَغْفِرَةَ

الشَّرْحُ لمَعَالِي الشَّيْخِ

صَالِحِ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ آلِ الشَّيْخِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ

وكان ذلك في دروس ألقاها شيخنا العلامة الحبر - حفظه الله - في جامع االأميرة حصة السديري بالرياض، ابتداءً من يوم الخميس السادس عشر من جمادى الآخرة لعام ستة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة، وخُتمت في يوم الخميس الثامن عشر من شعبان لعام ثمانية عشر وأربعمائة وألف.

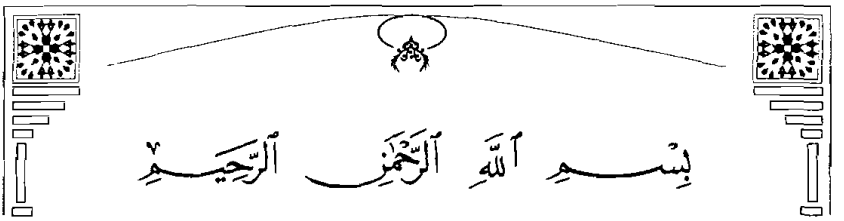

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد. . . ،

فقد بعث الله محمدًا ﷺ على حين فترة من الرسل، وفي جاهلية جهلاء، وعلى حين تفرق من الناس، فأنعم الله عليهم بأن بعث إليهم نبي الهدى ورسول الرحمة ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وأظهر الله دينه، وجمع عليه المسلمين أمة واحدة، اجتمعت قلوبهم على الصراط المستقيم، وألف بينهم بهذه النعمة العظيمة.

وواصل الخلفاء الراشدون المهديون مسيرة الهدى والرشاد، يبلغون دين الله ﷻ مجتمعين أمة واحدة، ثم حدث ما أخبر به رسول الله ﷺ من الفتن، وظهورها في الأمة، وافترقت الأمة المسلمة بسبب هذه الفتن، ومع كثرة المحدثات وغلبة الجهل أصبح الإسلام غريبًا، وتفرقت كلمة المسلمين؛ فصاروا فرقًا كثيرة بعد أن كانوا أمة واحدة، كما هو حاصل اليوم، وطريق العودة إلى وحدتهم بيِّن واضح، وهو طريق السلف الصالح جيلًا بعد جيل، دون من وصف بالبدعة كالروافض والخوارج، وغيرهما من أهل البدع المذمومة.

ومع غربة هذا الدين، وكلما جاء زمان كان الذي بعده شرًا منه، كانت

غربة الإسلام فيه أشد؛ كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(١).

ولما جعل رب العالمين دين محمد ﷺ باقيًا إلى قيام الساعة، فلم تخلُ الأرض من قائم له بحجته أبدًا؛ كما روى مسلم في صحيحه: «لاَ يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢). وكذا روى البخاريُّ في المناقب عن معاوية ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(٣).

وممن يقيم الحجة لله على خلقه الأئمة المجددون، فكلما جاء قرن من القرون التي تنطمس فيها معالم الدين، ويكاد أن تتعطل معظم أصوله ودعائمه؛ من تلاعب الجهال به، وموت العلماء، وارتفاع أهل الجهل وترؤسهم، بعث الله ﷻ لهم من يجدد لهم دينهم، ويردهم إلى ما كانوا عليه، أي: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وأهل القرون المفضلة، بالدعوة والتعليم، وحسن القدوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مصداقًا للحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٢) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٦٠) من حديث معاوية ﷺ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقي والسخاوي، وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، حديث صحيح، والسند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله): الحمد لله الذي امتنَّ على العباد؛ بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون بكتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقد قيض الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الأمة مجدد القرن السابع علم الأعلام، وشيخ الإسلام، وإمام المسلمين، ومجدد معالم الدين في عصره ناصر السنة، وقامع البدعة:

شَيخِ الإسْلامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

أَجْزَلَ اللهُ لَهُ المَثُوبَةَ وَالمَغْفِرَةَ

الذي نازل فرق الضلالة على تنوعها في زمانه: من جهمية، ومعتزلة، وأشاعرة، وصوفية، ورافضة. فتصدى لهم رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان سيفًا مسلولًا على المخالفين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، فانبرى للرد عليهم وتفنيد أقوالهم، ولم ينشغل بمناقشة فرقة منهم دون الأخرى، وهو كما ذكره تلميذه

العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية[١]:

وَلَهُ المَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الوَرَى ... قَدْ قَامَهَا لِلَّهِ غَيرَ جَبَانِ

نَصَرَ الإِلَهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ ... وَرَسُولَهُ بِالسَّيفِ وَالبُرهَانِ

أبدَى فَضَائِحَهُم وَبَيَّنَ جَهلَهُم ... وَأرَى تَنَاقُضَهُم بِكُلِّ زَمَانِ

وَأصَارَهُم وَالله تَحتَ نِعَالِ أَهْـ ... ـلِ الحَقِّ بَعدَ مَلاَبِسِ التِّيجَانِ

وَأصَارَهُم تَحتَ الحَضِيضِ وَطَالَمَا ... كَانُوا هُمُ الأعلاَمَ لِلبُلدَانِ

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلاَحِهِم ... أردَاهُمُ تَحتَ الحَضِيضِ الدَّانِي

كَانَت نَوَاصِينَا بِأيدِيهِم فَمَا ... مِنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَانِ

فَغَدَت نَوَاصِيهِم بِأيدِينَا فَلاَ ... يَلقَونَنَا إِلَّا بِحَبلِ أَمَانِ

وَغَدَت مُلُوكُهُمُ مَمَالِيكًا لأنـ ... ـصَارِ الرَّسُولِ بِمِنَّةِ الرَّحمَنِ

فَاقرَأ تَصَانِيفَ الإِمَامِ حَقِيقَةً ... شَيْخِ الوُجُودِ العَالِمِ الرَّبَّانِي

أعنِي أبَا العَبَّاسِ أحمَدَ ذَلِكَ الـ ... ـبَحرُ المُحِيطُ بِسَائِرِ الخِلجَانِ

فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يعد مدرسة علماء الأمة، ولو لم يكن من حسناته إلا تلميذه العلامة ابن القيم لكفاه، فكيف وقد خلف أئمة كبارًا، كابن عبد الهادي، وابن كثير، والذهبي، والبزار، وابن سيد الناس، والبرزالي،

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٩٢).

وابن الزكي، وغير هؤلاء كثير من كبار المحدثين والفقهاء. فرحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة والأجر، وجمعه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وقد قام شيخنا العلامة الحبر/

صَالِحِ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ آلِ الشَّيْخِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ

بشرح **كتابِ الفرقانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ**، والذي يعد علامة مميزة لأهل السنة والجماعة، الذين هم وسط بين فرق الأمة بين الغالي والجافي، وزاد في أهمية هذا الكتاب تبحر شيخنا - حفظه الله - في فهم كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، ومعرفة مقاصده، وتوضيح معاني كلامه أتم توضيح وبيان، فجاء هذا الشرح مملؤًا بالفوائد على عادة شيخنا - وفقه الله - الذي تميز بعلو كعبه في أنواع العلوم والفنون بعامة، وعلم العقيدة بخاصة.

وقد استأذنت شيخنا بالعمل على هذا الشرح المبارك فأذن جزاه الله عنا خير الجزاء.

فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفع بهذا الشرح المبارك ذكره، وأن يعلي درجاته، وأن يجزل لشيخنا الأجر والمثوبة، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، وأن يجمعه وشيخ الإسلام ووالديه وأهل بيته تحت لواء الحمد، وفي جنات النعيم، وفي زمرة السابقين مع النبي الأمين، وصحابته الغر الميامين، وأن يقيه شر الحاسدين، وأن يجعل لي من الخير نصيبا، وأن يجزي كل من

شارك في إعداد هذا العمل المبارك خير الجزاء وأحسنه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

الرياض ١٦/٨/١٤٣١هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَنَشْهَدُ(١) **أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. أَرْسَلَهُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَهَدَى بِهِ مِنْ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنْ الْعَمَى، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنْ الْغَيِّ، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَفَرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ وَالْغَيِّ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَالسُّعَدَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْأَشْقِيَاءِ أَهْلِ النَّارِ، وَبَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ اللَّهِ، فَمَنْ شَهِدَ لَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ**

---

(١) في بعض النسخ المطبوعة (وأشهد)، وهي الموافقة لألفاظ حديث خطبة الحاجة، ونقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد، ولا تُقبل النيابة بحال أفرد الشهادة بها، ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار يقبل ذلك فيستغفر الرجل لغيره، ويستعين الله له، ويستعيذ بالله له، أتى فيها بلفظ الجمع؛ ولهذا يقول: اللهم أعنا وأعذنا واغفر لنا... إلى أن قال: وفيه معنى آخر وهو أن الاستعانة والاستعاذة والاستغفار طلب وإنشاء، فيُستحب للطالب أن يطلبه لنفسه ولإخوانه المؤمنين، وأما الشهادة فهي إخبار عن شهادته لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وهي خبر يطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله بخلاف إخباره عن غيره، فإنه إنما يُخبر عن قوله ونطقه لا عن عقد قلبه، والله أعلم». انظر: تهذيب السنن لابن القيم (٣/ ٥٤).

بِأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ. وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّ لِلَّهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ النَّاسِ وَلِلشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ، فَفَرَّقَ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

الشـــرح:

الحمد لله الذي بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

فأسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن إذا أُعْطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وممن إذا أذنب استغفر، وأسأله ﷻ أن يعيذنا من مضلات الفتن، وأن يجعلنا من الذين اهتدوا بهداه، اللهم إنا نعوذ بك أن نَضل أو نُضل أو نَزل أو نُزل، أو نَجهل أو يُجهل علينا.

أما بعد:

هذا الكتاب كتبه شيخ الإسلام رحمه الله لبيان ضلال طوائف من غلاة الصوفية في مسائل الولاية والأولياء، وبيَّن في هذا الكتاب الفرق البين بين ولي الله وولي الشيطان، وسمى كتابه: (**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء**

الشيطان). فطوائف الضلال في هذا الباب لهم أقوال، ولهم آراء، ولهم شبه كثيرة في مسألة الولاية، وفي مسألة الاعتقاد في الأولياء، وهذا الكتاب فيه ذكر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، يعني الفاصل والفصل، وما يميز هذا من هذا، والأصل في الفرق هو قول الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وإذا كان كذلك فإن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، والإيمان يتبعض، والناس ليسوا فيه سواء، وكذلك التقوى تتبعض، والناس ليسوا في التقوى سواء، فحصل من ذلك أن ولاية الله ﷻ لعباده المؤمنين المتقين ليست واحدة، بل متفاضلة، فالله ﷻ يحب المؤمن المتقي بعامة، ومن كان أكثر إيمانًا وتقوى كان أحب إلى الله ﷻ، وهذا من جهة محبة الله ﷻ للعبد؛ فإن كل مؤمن تقي له نصيب من ولاية الله ﷻ، وله نصيب من محبة الله ﷻ ونصرته بحسب ما معه من الإيمان والتقوى، وكذلك إذا كان معه عصيان، وبدع، وضلال، وفجور، وفسوق، فله نصيب من بغض الله ﷻ وعداوته له.

قوله: (**وَنَشْهَدُ**): فيه جواز ذلك؛ لأن من الناس من قال: الأفضل أن يتكلم المرء عن نفسه فيقول: وأشهد، وألا يأتي بنون الجمع الدالة على نفسه وعلى غيره؛ لأن الشهادة أمرها باطن، ولكن هذا جائز، يقول عن نفسه وعن غيره أيضًا باعتبار ظاهر الحال[1].

---

(١) وقد استخدم هذا اللفظ (وَنَشْهَدُ) جمع من أهل العلم، منهم: أبو الحسن الأشعري في مقدمة كتابه الإبانة، واللالكائي في مقدمة كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة، والبيهقي في مقدمة كتابه دلائل النبوة.

وقوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية أن الأولياء هم الذين آمنوا وكانوا يتقون؛ ولهذا عرف جماعة من أهل العلم الولي: بأنه كل مؤمن تقي ليس بنبي[1].

وقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ هم الأولياء، والإيمان والتقوى يتفاضلان، الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل أهله فيه، وكذلك التقوى يتفاضل أهلها فيها، فيكون إذًا وصف الوَلاية يتفاضل أهله فيه، فالأولياء ليسوا على مرتبة واحدة، ولكن صار غالبًا في الاصطلاح أن الولي هو المؤمن الذي كَمَّلَ التقوى حسب استطاعته، وليس مَنْ عنده شيء مِنْ الإيمان وشيء من التقوى يكون وليًا، وإن كان كل مؤمن تقي له وَلاية بحسب ذلك، ففرق بين الاسم - اسم الولي - وبين الولاية.

فالولاية التي هي محبة الله لعبده ونصرته له هذه تكون بقدر ما عنده من الإيمان والتقوى. وأما اسم الولي فالآية دلت على أن من عنده إيمان وتقوى فهو من الأولياء، لكن في الاصطلاح إذا قيل: الأولياء، فهم العباد الصالحون الذين كمَّلوا التقوى بحسب استطاعتهم أو بحسب حالهم، فلا يدخل فيه من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

(١) انظر: منهاج السنة (٧/ ٢٨)، وفتاوى مهمة لعموم الأمة لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ﷺ (ص٨٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: ٤٤].

الشـــرح:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ هذا التولي المُكفر، وهو نصرة الكافر على المسلم في حال الحرب بقصد ظهور الكفر أو بقصد سلامة النفس دون سلامة الإسلام، ويدل على هذا التفسير قوله ﷻ في الآيات

نفسها: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾، فقوله ﷻ: ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ يعني: في توليهم ونصرتهم، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾.

قوله ﷻ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ دل على أن المقصود بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ يعني: في حال القتال والنصرة.

قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ يعني: خرج عن الدين؛ لأنه نصرهم في حال قتالهم لأهل الإسلام[1]، وقد استشهد شيخ الإسلام رحمه الله بالآية للدلالة على معنى الوَلاية، وأن الوَلاية هي المحبة والنصرة، فقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: أحبابًا ناصرين تنصرونهم وتتناصرون معهم، وقوله ﷻ: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: بعضهم ينصر بعضًا وبعضهم يحب بعضًا.

أما في قصة حاطب رضي الله عنه[2]، فإنه قد حصل منه مسارعة في إفشاء السر والإخبار بعزم الرسول ﷺ على إتيان مكة، فلما قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ**»، قال ﷺ: «**مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**»، فاستفصاله ﷺ دالٌ على اعتبار القصد، وقد علل حاطب رضي الله عنه بأمر دنيوي، فَقَالَ للنبي ﷺ: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَاتَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ**

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٧٦)، وتفسير القرطبي (٦/ ٢١٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٦٩).

(٢) حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه صحابي جليل شهد بدرًا وقصته أخرجها البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، وانظر تفسير القرطبي (١٨/ ٥٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٢٥)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٧٣).

مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا، وَلا رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فدل هذا على أنه لم يقصد ظهور الكفر على الإسلام، وإنما قصد حماية المال والنفس، وهذا راجع إلى أمر الدنيا، وليس راجعًا إلى أمر الدين، فيكون التولي أو الموالاة[1] بهذا المعنى محرمًا وضلالًا عن سواء السبيل، لكن ليست مكفرة[2]؛ وذلك لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾.

قال العلماء: أثبت أنهم ألقوا المودة ومع ذلك ناداهم باسم الإيمان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ومع ذلك قال في آخرها: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، فدل على أن هذا الفعل - وهو الموالاة بهذا المعنى - محرم وضلال عن سواء السبيل، ولكن لا يخرج عن اسم

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٥/ ٤١١): «تولاه: اتخذه وليًا، وإنه لبين الولاة والولية والتولي والولاء والوَلاية والوِلاية، والولي القرب والدنو» ا.هـ. وانظر مختار الصحاح (ص٣٠٦).

(٢) سُئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن عن الفرق بين الموالاة والتولي، فأجاب رحمه الله: «التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والمولاة كبيرة من كبائر الذنوب؛ كبل الدواة، أو بري القلم، أو التبشش لهم، أو رفع السوط لهم» ا.هـ. انظر: الدرر السنية (٨/ ٤٢٢).

الإيمان، ولكنه إذا نصر الكفار مرجِحًا سلامة نفسه على سلامة الإسلام هنا يكفر ولو بالفعل، ففرق بين أن يُسِّر إليهم بشيء أو يمدهم بمال ونحو ذلك، وبين فعل شيء فيه نصر لهم على المسلمين، يعني: يفعل شيئًا معه نصر للكفر على الإسلام أو ظهور للكفار على المسلمين؛ ولهذا في «نواقض الإسلام» لإمام الدعوة[1] رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر من النواقض: مظاهرة المشركين على المسلمين، والمظاهرة لفظ له هذا المعنى السابق، وهذا بحث له موطن آخر بتفصيله، وهذه الآيات السالفة كلها إما في بيان أولياء الرحمن، أو في معنى الوَلاية.

والوَلاية - كما سبق - هي المحبة والنصرة، فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: النصرة الكاملة والمحبة إنما هي لله عَزَّ وَجَلَّ الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن أحب شيئًا دون الله عَزَّ وَجَلَّ وتعلق قلبه به، خذل من جهته، وكذلك من طلب النصر من غير الله عَزَّ وَجَلَّ وتعلق القلب بذلك، خذل من جهته، ومن تعلق قلبه بالله وانتصر كفاه، وهذا هو معنى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعني: إنما محبكم وناصركم الله ورسوله والذين آمنوا، وهذا هو الواجب أن تكون ولاية المؤمنين في الله عَزَّ وَجَلَّ ولله.

(١) انظر: مجموع مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ١١٨).

وَذَكَرَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۚ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾، **إلى قوله:** ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧ - ٣٠].